الفصل الثاني

المشكلة الهومرية

١ — نظرية ڤولف

كان اليونان منذ بداية القرن السابع ق . م . ينسبون إلى هوميروس عدداً من القصائد [١] غـــير الإلياذة والاوديسا ولكن لما ظهر علماء الاسكندرية وعكفوا على دراسة الأشعار الهومرية دراسة دقيقة قرروا استبعاد هـــذه المقطوعات « لأن لغتها كانت مصطنعه وكان أسلوبها ركيكا وأوازنها غير مصقولة ، لذلك أجمعوا على أنه لم ينظم إلا الملحمتين العظيمتين ، ولم يخرج على هذا الإجماع إلا فئة قليلة [٢] كانت تدعى بأن هوميروس لم ينظم إلا الإلياذه وأن الاوديسا كانت من نظم شاعر أو شعراء غيره . ولكن يظهر أن هذه الجماعة لم تستطع تأييد دعواها بأدلة قوية فكان من السهل على اريستا رخوس تفنيد رأيها وإخماد صوتها ، فلم يعد يسمع به أحد منذ ظهور المسيحية .

لكن إجماع القدماء لم يمنع المحدثين من مخالفتهم فى الرأى فاعتمدوا على بعض العبارات المتناثرة فى مؤلفات اليونان ليؤيدوا نظرية هؤلاء الذين سبق أن نادوا بفصل الإلياذه عن الاوديسا ، وما أن تجددت هذه الدعوى

---

(١) انظر الفصل الأول ص: ١٤

(٢) أشهر هؤلاء كسينون Xenon وهيلانيكوس (Hellanicos) ، وقد عرفت هذه الفئة عند اليونان باسم Chorizontes أى الذين يفصلون الإلياذة عن الأوديسا .

فى القرن السادس عشر حتى انقسم المحدثون على أنفسهم ، فتعددت مدارسهم وتضاربت آراؤهم وتعقدت أبحاثهم وكونت فى مجموعها ما يعرف بالمشكلة الهومرية .

قامت هـذه المشكلة على اعتراضين رئيسيين : أولهما انه ليس من الممكن أن يبدأ الأدب اليونانى بهاتين الملحمتين الرائعتين وليس من المعقول أن تخرجا من العدم دون أن تسبقهما ملاحم أخرى رجع إليها هوميروس وأفاد منها فى نظم أشعاره . وثانيهما أن خصائص كل من الملحمتين تدل على أنهما عملان مختلفان ألفهما شعراء مختلفون وأن كلا منهما وحدة مستقلة رغم ما تضمنه من مقطوعات مفككة وفقرات متناقضة . ومن هنا بدأ المحدثون دراستهم وأخذوا فى البحث عن مختلف الأدلة يدعمون بها رأيهم . وكان اسحق كازوبون (Isaäc Casaubon) ، فيما نعلم ، أول من آثار الشكوك حول ناظم الالياذه والاوديسا ؛ وتبعه عدد من العلماء أخذوا برأيه دون أن يناقشوه ، وبقى الموضوع غامضاً دون بحث حتى ظهر العالم الألمانى ڤولف (Wolf) الذى فاق جميع من سبقوه وألقى بهم فى عالم النسيان لأنه كان أول المحدثين الذين اهتموا بدراسة المشكلة دراسة علمية ووضع فيها كتاباً [1] مهما للغاية أصدره عام ١٧٩٥ . وبدأه بمقدمه عن تاريخ الملحمتين منذ ظهورهما فى منتصف القرن العاشر حتى حكم الطاغى الآثينى پيسستراتوس (٥٥٠ ق. م) . وبعد أن تحدث ڤولف عن أهمية أقدم مخطوط للأشعار الهومرية أمر بعمله ذلك الحاكم ، تناول الموضوع بالبحث الدقيق وانتهى إلى النتيجة التالية .

---

(١) عنوانه « مقدمة لدراسة هوميروس » .

عندما نظمت الأشعار الهومرية كان اليونان يعيشون عيشة بدائية فى منتصف القرن العاشر وكانوا لا يعرفون الكتابة أو على الأقل لم تكن قد أصبحت وسيلة مألوفة لتدوين الأدب بفنونه المختلفة ، وبذلك لم يكن فى مقدور اليونان أن ينظموا فى تلك الظروف مثل هاتين الملحمتين الطويلتين ، لأنه حتى لو سلمنا ، فى رأى ڤولف ، بإمكان نظمهما فإننا لا نستطيع أن نتصور وجود جمهور يستطيع سماعهما ، فهاتان الملحمتان تشبهان فى رأية سفينة هائلة بنيت فى مدينة بعيدة عن الساحل فى زمن قديم لم تعرف فيه الملاحة وقواعدها ، بناها صاحبها من غير أن تكون لديه العدد والآلات التى تساعده على إنزالها إلى الماء بل ودون وجود بحر يجرى بها فيه »[1] .

واتخذ ڤولف من جهل اليونان بالكتابة أو من عدم انتشارها بينهم دليلا على أن القصائد الهومرية انتقلت من جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشفوية وبذلك أدخل عليها الرواة والمنشدون ، بقصد أو بدون قصد ، كثيراً من التعديل . حتى دونت لأول مرة فى عهد البيستراتوس ثم تعرضت ، حتى بعد تدوينها ، لتغييرات أخرى تعمد النساخ أو النقاد ادخالها على النص بقصد التنقيح والتوفيق بين أجزائه المختلفة . وأضاف ڤولف قائلا أن الوحدة الفنية قويه فى الملحمتين المعروفتين لنا ولكنها أقوى وأشد ظهوراً فى الاوديسا منها فى الالياذه ، وينكر ڤولف وجود هذه الوحدة فى الملحمتين منذ نشأتهما ، ويقول إنها اكتملت تدريجيا مع مرور الزمن بفضل الإضافات والتعديلات التى أدخلت عليهما وينتهى من ذلك إلى أنهما ليستا من نظم شاعر واحد وأنهما أول الأمر لم تكونا فى صورتهما

(١) مترجمة عن Jebb, op.cit., p.108 .

المعروفة بل كانتا أقصر من ذلك بكثير ثم أخذ المنشدون يضيفون إليهما مقطوعات جديدة حتى بلغتا هذا الطول .

وجدير بالذكر أن ڤولف لم ينكر وجود هوميروس ولم ينكر أنه كان شاعراً عبقرياً وأنه بدأ « نسيج الخيوط الأولى » ونظم الجزء الأكبر من الإلياذه والاوديسا . ولقد أكد ڤولف هذا الرأى مرة أخرى فى طبعة الالياذه التى نشرها فى نفس الوقت تقريباً اذ قال فى مقدمتها « لا شك أن هوميروس الذى فكر فى نظم الالياذه والاوديسا نسج خيوطما الأولى ووصل بها إلى نقطة معينة لا يمكن تحديدها ولو بصورة تقريبية ، ولا شك عندنا أيضاً فى أنه نظم عدداً كبيراً من الأناشيد وأن تلاميذه من الهوميرداى أتموا عمله وأضافوا الأغانى القليلة الباقية » .

تلك خلاصة نظرية ڤولف التى لقيت ، عند ظهورها ، تأييداً شديداً من علماء الألمان وأدبائهم [1] ، ومع أن الأبحاث الأخيرة قد اثبتت خطأها إلا أن جميع النقاد لا ينكرون على صاحبها المجهود العظيم الذى بذله لفهم هوميروس فهما عميقاً ، لقد كان ڤولف أول من اهتم بتحليل أشعاره ودراستها فى ضوء الظروف التاريخية والاجتماعية التى أحاطت بالشاعر ووصفها فى ملاحمه .

ولكن النتائج التى وصل اليها لم تستطع الصمود أمام نتائج الاكتشافات

---

(١) ما عدا الشاعر شيلر الذى وصف نظرية ڤولف بأنها « بربرية همجية » ولقد خالفه جيته أول الأمر ثم أيده بعد ذلك وهاجم ڤولف قائلا : « انى أعيب على هذا الخنزير البرى اقتحامه أنضر الحدائق فى دنيا الحسن والجمال » ؛ قارن : Geddes (W. D.), The problem ot the Homeric poems, 1878, p. 12.

يضاف إلى ذلك أن نقاد فرنسا وانجلترا لم يتحمسوا لهذه النظرية بل عارضوها إلا المؤرخ الانجليزى Grote الذى وافق على بعض أجزائها ، انظر Geddes, op. cit., p. 16.

الحديثة ، فلم يتصور أن شليمان كان سيقوم بحفريات فى موكناى وفى طرواده ويثبت أن حضارة عريقة زاهرة ظهرت فى هذه المنطقة ، ولم يتصور أيضا أن أفانس Evans كان سيقوم بحفريات فى كريت ويثبت أنها كانت مهدا لحضارة أعرق وأكثر إزدهارا ولم يتصور أيضا أن العلماء ، من بعده ، سيثبتون أن اليونان تأثروا بهذه الحضارة وانهم عرفوا الكتابة وأنه وجدت عندهم الواح مكتوبة ترجع إلى ماقبل ظهور هوميروس بقرون عدة ، لم يتصور فولف كل ذلك بل اعتقد أن بلاد اليونان كانت ، كما وصفها ثوكوديديس ، منطقة جرداء فقيرة وأنها كانت مرتعا للجهل لايمكن أن تنشىء ملحمتين رائعتين ، لأن اليونان ، فى رأيه ، لم يعرفوا فن الشعر وقواعده وأصوله إلا بعد ذلك بوقت طويل .

لكن نتائج الحفريات الأخيرة والاكتشافات الحديثة أدت إلى إنهيار هذه النظرية انهيارا تاماً وهذا تفنيد لأهم النقط التى تضمنتها .

حقا إن أقدم النقوش اليونانية الموجودة لايرجع تاريخها إلى ماقبل القرن السابع قبل الميلاد ولكن هذا لاينهض دليلا على أن الكتابة استخدمت فى النقش على الآثار قبل أن تستعمل فى تدوين الأعمال الأدبية بل من المحتمل أن العكس صحيح ؛ كما أن رداءة الكتابة ونقش الحروف على الرخام بطريقة بدائية لاتعنى أن فن الكتابة لم يكن شائعا عند اليونان ولكنه يدل فقط على أنهم كانوا لايتقنون هذا الفن وأنهم كانوا يجدون صعوبة فى نقش الحروف على الحجر [1] بل ويحتمل أنهم كانوا يكتبون بسهولة على خامات رقيقة لينة مثل أوراق الشجر والجلد المدبوغ والخشب والشمع وغير ذلك

---

(١) Jebb, op. cit., p.110, note 2.

من المواد التى اندثرت معالمها . ولماذا نستبعد أن اليونان عرفوا الكتابة عندما اتصلوا بالفينيقيين فى القرن الثانى عشر كما يدل على ذلك تطور حضارتهم السريع ورقيها ، وكما يشهد بذلك هيرودوت عندما يحدثنا عن نقش رآه فى طيبة يرجع تاريخه إلى قرون عديدة ضاربه فى القدم ؟ (١) . لقد اعترف ڤولف نفسه بأن اليونان تعلموا الكتابة وأن الشعراء (٢) استخدموها فى تدوين قصائدهم ابتداء من ٧٧٦ ق. م (٣) ، وقصر هذا على عدد ضئيل من الشعراء ولكنه لم يبين الأسباب التى من أجلها بالذات اختار ذلك التاريخ . ولماذا لم يذكر هوميروس بين الشعراء القليلين الذين استخدموا الكتابة فى أشعارهم ؟ فسوف نرى أن ابحاث القرن العشرين أثبتت أن الأشعار الهومرية دونت بعد نظمها مباشرة لأن تداولها على ألسنة المنشدين والرواة لا يعنى أنهم كانوا لا يحتفظون بنسخ مكتوبة يرجعون اليها لتساعدهم على تذكر هذه الأشعار قبل إنشادها لأن حفظ هذه الملاحم الطويلة وتلاوتها من الذاكرة على مر العصور أمران من الصعب تصورهما .

أما عن قول ڤولف بأن اناشيد الإلياذة والأوديساظلت متفرقة ولم تجمع إلا فى عهد البيسيستراتوس فهو قول يدعو إلى الشك لأن القدماء لم يقولوا بذلك إلا فى عصر متأخر ، فلم يرد ذكر هذا الرأى عند أى كاتب يونانى أو رومانى قبل پاوسنياس وشيشرون (٤) بينما يحدثنا پلوتارخوس عن رواية

---

(١) هيرودوت : الجزء الخامس : فصل ٥٩ . يرجع المؤرخ هذا النقش إلى عصر لايوس ابن لابداكوس الذى عاش قبل حرب طروادة بزمن طويل كما تحدثنا بذلك أساطير اليونان .

(٢) مثل الشعراء الذين قلدوا هوميروس ونظموا الملاحم من بعده ، انظر الفصل الأول ص ١٤ ، قارن Jebb, op. cit, p.p. 153—155.

(٣) ڤولف : مقدمة فى دراسة هوميروس ، ص: ٧٠ نقلا عن Jebb, op. cit., p. 112 .

(٤) پاوسنياس ، جزء ٧ فصل ٢٦ ؛ شيشرون ، عن الخطيب ، ٣ ، ٣٤ .

أقدم تشير إلى أن لوكورجوس كان أول من أحضر بنفسه عام ٧٧٦ ق . م نسخة كاملة من أشعار هوميروس وجاء بها إلى بلاد اليونان ، وهذا دليل على انها دونت قبل عصر البيستراتوس بمئات السنين . وحتى إذا سلمنا بأنها لم تجمع إلا فى عهد هذا الحاكم فهل هذا يمنع وجود صلة بين الأناشيد المتفرقة أو ينفى أنها كانت تكون فى مجموعها ملحمة ذات وحدة كاملة ؟ وبذلك يكون عمل البيستراتوس قد اقتصر على جمع الأشعار الأصلية والمحافظة عليها، ولم يتعد ذلك إلى تنسيق أجزائها والحذف منها والإضافة اليها وصياغتها صياغة فنية. ومع أن ڤولف كان يمتاز بدقته العلمية إلا أنه كان موجزا إلى حد الغموض أحيانا فلم يوضح أين انتهى دور هوميروس ولم يذكر عدد الأناشيد التى نظمها والتى أضافها غيره من بعده ولم يبين الفرق بين شعره وأشعارهم، وبذلك كان بحثه ناقصا يحتاج إلى توضيحات وعد بإدخالها على نظريته ولكنه لم يحقق هذا الوعد مما حمل النقاد على اتهامه بالتردد فى الرأى وعدم الايمان .

ومهما يكن من الأمر فانه نجح فى إيجاد مدرسة واصلت دراسة الموضوع فى ضوء النتائج التى سجلها ولكن سرعان ما اختلف تلاميذه فيما بينهم وتعددت آراؤهم مما أضعفهم وأدى إلى القضاء على نظريتهم (١)

وأشهر اتباعه لاخمان (Lachmann) وهرمان (Hermann) .

قسم الأول الألياذة إلى ثمانية عشر (٢) نشيدا مستقلا نظمها شعراء مختلفون واعتمد فى ذلك على أن هذه الأناشيد تتضمن كثيرا من التناقض فى المعلومات وأن الروح التى تسودها ليست واحدة .

---

(١) Geddes, op.cit., p. 13.

(٢) وقسمها علماء آخرون إلى ستة عشر نشيداً ، وعرفت نظرية التقسيم إلى أناشيد متفرقة باسم نظرية الأغانى القصيرة "Klein Lieder Theorie" انظر Jebb, op. cit., p. 119.

أما هرمان فقد أيد نظرية ڤولف ولكنه اختلف معه فى التفاصيل ، فلم يوافق على أن هوميروس نظم جزءا من الألياذة والأوديسا وأن شعراء غيره ألفوا بقية الأناشيد ، لم يقتنع بذلك لأنه لم يفهم السبب فى أن يتقيد اتباع هوميروس بالموضوع الذى اختاره استاذهم ويتغنوا بالأيام الأخيرة من حرب طروادة وبعودة أودوسيوس دون غيره من ابطال اليونان، وكان جديرا بهم أن يتناولوا فترة أخرى من الحرب أو يمجدوا أبطالا آخرين لذلك كان يرى أن هوميروس هو الذى نظم الألياذة والأوديسا ووضع « الهيكل الأول » ، وأن الشعراء لم يضيفوا شيئا جديداً إلى « النسيج الذى غزله » ولكنهم عملوا فى حدود الدائرة التى رسمها لهم واقتصر عملهم على تقليده تقليداً حرفياً وإضافة الأبيات[1] التى ينظمونها إلى أشعاره أو إطالة بعض الفقـــرات وتفصيلها[2] . واعتقد هرمان أن جمهور المستمعين كان لا يسمح لاتبـاع هوميروس بأن يغيروا فى الهيكل الذى بنـاه لأنهم كانوا لا يستطيعون أن يبلغوا ما بلغه .

يتبين لنا من هذه الآراء أن اتباع ڤولف قد اختلفوا مع استاذهم فى التفاصيل ومع ذلك فقد اتفقوا جميعا على أن هوميروس لم يكن « خالق الملحمة اليونانية » ، ولكنه نظم الجزء الأكبر من أناشيد الإلياذة والأوديسا ثم ظهر من بعده شعراء أضافوا أناشيد أخرى وصاغوا الملحمتين فى القالب الذى نعرفه .

---

(١) مثال ذلك فى رأيه مطلع النشيد الثانى من الإلياذة .

(٢) معركة الآلهة فى النشيد ٢١ ما هى إلا إطالة وتفصيل للفقرة ٥٦ — ٧٤ من النشيد العشرين .

٢ — المعارضون لڤولف

لم يكن هناك بد من أن يجد ڤولف وأتباعه معارضة قوية لأنهم اعتبروا هوميروس شاعراً عاديا مثل غيره من الشعراء المغمورين الذين عاشوا قبله ببضعة قرون ولم ينظموا إلا أناشيد قصيرة، ولكن قد ثبت أنه ظهر بعد زوال عصر هذه الأناشيد فوجد أمامه تراثا ضخما رجع اليه وأفاد منه عند صياغة ملاحمه التى تعد الأولى من نوعها فى الأدب اليونانى.

وكان نيتشه [١] (G. Nitzsch) أول من حمل لواء المعارضة ضد اتباع ڤولف فقال « إن هوميروس، فى رأيي، أحدث تطورا عظيما فى المقطوعات القصيرة التى كان يتغنى بها المنشدون القدماء عن حرب طروادة وصاغ منها الألياذة ويحتمل أيضاً أنه نظم الأوديسا بنفس الطريقة ولو أن أصالة الشاعر أشد ظهورا فيها لأنها تضمنت وصفا لعدد كبير من المغامرات الخيالية رواها بطريقته الخاصة » [٢]

وكان نيتشه يعتقد أن الألياذة التى نظمها هوميروس مع الأوديسا قبل

---

(١) يقال إنه كان شديداً فى هجومه فوجه لهم ضربات عنيفة حتى وصفه النقاد بأنه كان مطرقة على رءوس ڤولف وأتباعه Malleus Wolfianorum ، انظر Geddes, op. cit., p. 12.

(٢) خصص نيتشه عدة أبحاث لدراسة المشكلة الهومرية ظهرت فى الفترة ما بين ١٨٢٩ — ١٨٦٢ أهمها :

عام ٨٠٠ ق. م قد تعرضت ، من بعده ، لتعديلات طفيفة ، أما جوهرها فبقى كما كان عليه . ولقد وقف إلى جانبه العالم الانجليزى المشهور جرت[١] (Grote) فأيده فى أن الألياذه كانت من نظم هوميروس وانها كانت تصف غضب اخيليوس ثم ظهر شاعر ـ أو شعراء ـ أراد أن يزيد فى طولها فاضاف اليها أناشيد كاملة لا تتصل اتصالا قويا بالملحمة الأولى عن غضب اخيليوس[٢]. وكانت تتكون ، فى رأيه ، من الأناشيد ١ ، ٨ ، ١١ ـ ٢٣ ، أما الأناشيد الباقية ٢ ـ ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٤ فقد أضيفت اليها فيما بعد وأصبحت فى مجموعها تسمى بالإلياذة ، ولكن الأدلة التى اعتمد عليها جرت فى استبعاد بعض الأناشيد انهارت أمام النتائج التى وصل اليها العلماء المحدثون .

وأهم الأبحاث التى ظهرت أخيراً لتفنيد مزاعم ولف وأتباعه كتب

De Historia Homeri maxime ue de scriptorum carminum = aetate meletemata, Hanover, 1830—1837.

وقد اعتمد عليه Jebb, op, cit., .p. 121 فى تلخيص نظرية نيتشه ونقل منه عدة فقرات منها هذه الفقرة التى ترجمناها.

(١) انظر كتابه المشهور الذى ما زال يحتفظ بقيمته العلمية رغم قدمه :

Grote (G.), History of Greece, Vol II, ch. 21.

(٢) لقد نادى العالم كرخهوف (Kirchhoff) برأى مماثل فيما يتعلق بالأوديسا فقال انها كانت فى الأصل تصف «عودة أودوسيوس» رواها الشاعر فى الأناشيد ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١١ ، أما بقية الأناشيد التى تتضمنها الأوديسا الحالية فهى ، فى رأيه ، إضافات من نظم شعراء غير هوميروس ، انظر :

Edwards (G. M.), The Odyssey of Homer, Book IX, Cambridge, 1952, p. 10. note 2.

ثلاثة [١] من تأليف العالم البلچيكى المعاصر البير سڤيرنس (A.Severyns) .

وقف هذا الأستاذ نفسه لدراسة هوميروس عشرات [٢] السنين وعكف على بحث جميع المشكلات التاريخية واللغوية والدينية والاجتماعية التى تتصل بالأشعار الهومرية ، ونجح فى إظهار أوجه النقص فى نظرية ڤولف واستطاع بعد بحث دقيق أن يعلل أسباب الحذف والاضافة وأن يسوغ التناقض فى بعض المعلومات الجغرافية ويفسر الفروق اللغوية فى الملحمتين وأثبت أن ڤولف لم يكن منصفا عندما اتهم هوميروس بالتناقض والخطأ فنسى أنه من البشر وتناسى ظروف الفترة التى عاش فيها وتطلب منه أن يكون مؤرخا من الطراز الأول وجغرافياً ممتازاً وبحاراً عليما بشئون الملاحة مثل هؤلاء الذين يعيشون فى العصر الحديث ، ونسى أيضا أنه شاعر قبل كل شيء ، وأن من حقه التحرر فى سرد الحقائق وعرضها فى قالب شاعرى جذاب ، فمثلا الاختلاف فى العقائد والتقاليد والفرق بين أنواع الأسلحة يمكننا أن نرجعه إلى رغبة هوميروس فى وصف أزمنة مختلفة وخلط القديم بالحديث لأنه كان يتغنى بالماضى البعيد ويصبغه بصبغة العصر الذى عاش فيه ، ومن الممكن أن نعزو هذا التباين أيضا إلى أن الشاعر كان يعرف كثيرا من القصائد التى نظمت فى فترات متباعده وتضمنت معلومات متناقضة فلما اقتبس منها ونقل عنها ظهر أثرها فى شعره .

ومهما يكن من الأمر فإن سڤيرنس استطاع تفنيد الأدلة التى ساقها

---

(١) انظر قائمة المراجع .

(٢) كان أول بحث له فى الموضوع رسالة قدمها لنيل درجة الدكتوراه من السربون ١٩٢٥ ، اتبعها بعشرات المقالات ثم جمع نتائج أبحاثه ودراساته المختلفه فى الكتب التى أشرنا إليها .

ڤولف ليثبت أن الإلياذه والأوديسا تحتويان على عدد كبير من المقطوعات والأبيات الدخيلة وإنهما مملوءتان بالمعلومات المتضاربة . وكان ڤولف قد بنى نظريته كما قلنا ، على أن الكتابه لم تكن معروفة فى عصر هوميروس ولذا استبعد الأبيات[١] التى تشير إلى وجود هـــذا الفن ، فلما ثبت من حفريات كريت وأرجوس وفلسطين أن اليونان عرفوا الكتابة منذ عصر الأبطال وأنها انتشرت بينهم قبل أن يأتى هوميروس إلى الوجود ، انهارت حجة العالم الألمانى وشرع المحدثون فى دراسة الأشعار الهومرية وتحليلها من جديد وأثبتوا أن الأبيات التى تدل على معرفة الكتابة والتى ذكر فيها بعض الأدوات[٢] المنزلية ووصف فيها أنواعا من الفاكهة وأشار فيها إلى جزر[٣] معينة — أثبتوا أنها هوميريه فى كل شىء : فى لغتها وأسلوبها ، فى روحها ووزنها[٤] ، كما اثبتوا أن اليونان استخدموا تلك الأدوات وزرعوا

---

(١) الإلياذة : ٦ : ١٦٨ — ١٦٩ ؛ أوديسا : ٨ ، ١٦١ — ١٦٤ .

(٢) اوديسا : ١٩ : ٣٤ ؛ ١٩ : ٦٣ — ٦٤ ؛ ١٨ : ٣٠٧ — ٣١١ حيث يرد ذكر المصباح ، اوديسا : ٢١ : ٦ — ٧ حيث يرد ذكر المفتاح المعدنى .

(٣) اوديسا : ٢٠ : ٣٠٢ ، ٣٨٣ حيث يشير هوميروس الى جزيرتى سردينيا وصقلية .

(٤) استخدم هوميروس الوزن السداسى الداكتولى وهو أقدم الأوزان اليونانية ، ويتكون من ستة أقدام ، يتركب كل منها من مقطعين طويلين (— — سپوندى) sponde أو مقطع طويل واثنين قصيرين oo — داكتولوس (dactulos) .

— ⏑⏑ | — ⏑⏑ | — ⏑⏑ | — ⏑⏑ | — ⏑⏑ | — ⏑⏑ —

وكانت نسبة الأقدام الداكتولية أكبر بكثير من الأقدام السپوندية لأن هوميروس كان يفضل البيت السداسى الداكتولى أى الذى يشترط أن يكون القدم الخامس فيه داكتوليا وكان يقلل من استخدام السداسى السپوندى الذى يكون القدم الخامس فيه سپوندى ، ومع أن هذا البيت كان من ابتكار الشعراء السابقين إلا أنه كان صاحب الفضل فى صقله واتقانه ، ولقد =

تلك الفواكه وعرفوا تلك الجزر قبل أن يولد هوميروس بمئات السنين .

ولما كان المجال لا يتسع لتفنيد مختلف الأدلة التى ساقها فولف لتدعيم نظريته ، لذا سنكتفى بالإشارة إلى الفروق بين الالياذه والاوديسا لنبين أنها سطحية وما كان لفولف أن يعتمد عليها فى بناء نظريته .

إن نظرة واحدة للغة الهومرية تدل على أنها آخر ما وصلت إليه لغة الملاحم من إتقان بعد أن مرت بتطورات عديده فى العصور المختلفة ، فهى لا تتصف ، كلغة الأشعار البدائية ، بالتكلف والغموض ولا تفتقر إلى المترادفات ولكنها بسيطة غنية بمفرداتها ومعانيها صالحة للتعبير عن مختلف الأفكار .

فكيف تكونت هذه اللغة ومتى استخدمها الشعراء ؟ إن هذه المشكلة ما زالت قيد البحث[1] رغم ظهورها منذ أقدم العصور . فقد أشار إليها أرسطو بقوله : « لم يصلنا شيء من أعمال الشعراء الذين عاشوا قبل هوميروس ، ولكننا لا نشك فى أنهم كانوا يفوقون الحصر ، ابتكروا لغة تطورت وارتقت على مر العصور » ، فوجد فيها هوميروس أداة للتعبير عن أفكاره تعبيراً دقيقاً رائعاً ، ولا شك أنه أضاف إليها من عنده

= أظهر فى استخدامه براعة تفوق كل وصف وبلغ به حد الكمال انظر :

Severyns (A.), Homère, le poète et son œnuvre, Chs IV, et V, pp. 49—72.

(١) ليس من السهل الوصول إلى رأى قاطع فى هذه المشكلة ما دمنا لا نعرف شيئاً عن اللهجات اليونانية فى العصر الهومرى والعصور السابقة عليه ، انظر :

Edwards, op. cit., p. 14.

(٢) أرسطو ؛ فن الشعر : ٤ ، ٣٠ .

وجدد فيها حتى بلغ بها حد الكمال ، وأصبحت تنسب إليه لأنه أعظم من خلدها فى أشعاره ، فاللغة الهومرية إذن أقدم من الأشعار الهومرية ، ظهرت إلى الوجود قبل هوميروس بمئات السنين(١) ويسميها نقاد اليونان « بالأيونية القديمة(٢) » وهى خليط من لهجات مختلفة امتزجت(٣) امتزاجاً شديداً حتى أن بعض أبيات الإلياذة تحتوى على كلمات من أربع لهجات ولقد لاحظ ذلك الناقد ديون خروسوستوموس (Dion Chrusostomos) فقال « إن هوميروس كان يتكلم أحيانا الأيولية وأحيانا الأيونية وأحيانا أخرى الدورية(٤) » . ولكن يجب ألا يتبادر إلى الذهن أن هذه العناصر امتزجت بنسبة واحدة . فالأيونية فى الواقع هى أكثر العناصر ظهوراً فى اللغة الهومرية ولذلك سماها القدماء ، كما قلنا ، بالايونيه القديمة ، وإلى جانب الأيونية الغالبة تستعمل الأيوليه بصورة واضحة مما جعل نقاد القرن التاسع

---

(١) الدليل على قدمها ما تحتوى عليه من صفات تصف مدناً اندثرت وتعبيرات رددتها الأجيال قبل هوميروس ، مثال ذلك : موكناى الغنيه بذهبها ، وطروادة ذات القلعة العالية ، وقوله : الفجر ذو الأصابع الوردية ، والرمح ذو الظل الطويل ، والبحر ذو اللون الخمرى .

(٢) "he arch aia Ias" وسميت قديمه للفرق بينها وبين الايونية التى استخدمها هيرودوت فى القرن الخامس ق . م . انظر :

Jebb, op. cit., p. 185.

(٣) Ps. Plut., Vita Homeri, ii - 8.

قارن الإلياذة : ٣ : ١٤٩ — ١٥٣ تحتوى هذه الابيات على ألفاظ أيونية قديمة وأيونية حديثة وأيولية وآتيكية وكلمات بالية لجأ النقاد إلى تخمين معناها لأنها لم ترد إلا فى هذه الفقرة . انظر :

Bowra (C. H.), Tradition & Design in the Iliad, Oxford 1930, p. 154.

(٤) Dion Chrest, XI. 28.

عشر يعتقدون أن هوميروس نظم أشعاره بالأيولية وأنها ترجمت[١] إلى الأيونية ما بين عام ٥٣٠ — ٥٠٠ ق.م ، لكن علماء القرن العشرين أرجعوا إستخدام الأيونية والأيوليه إلى أن هوميروس عاش فى جزيرة خيوس ونظم أشعاره بلغة أهلها التى كانت خليطا من هاتين اللهجتين ، إلا أن الأبحاث الأخيرة قد اثبتت أن لغة هوميروس لم تكن ابدا لغة للكلام فى أى مكان ببلاد اليونان ، فلغة خيوس ، كأى لغة للكلام ، كانت فقيره فى المترادفات ، محدودة النهايات ، قليلة الصيغ بعكس اللغة الهومرية فهى غنيه بالألفاظ مليئة بالمترادفات[٢] متحرره لا تتقيد بالقواعد ، تكثر فيها النهايات وتتعدد فيها الصيغ حتى تعبر عن أفكار وموضوعات اسمى من تلك التى تطلبها الحياة اليومية .

أما المفردات والصيغ الآتيكية فى اللغة الهومرية فأقل من الأيولية بكثير ووجودها فى النص أمر طبيعى لأن اثينا ، عاصمة اتيكا ، كانت أهم مركز عنى بالاشعار الهومرية فانزلها الآثنيون من أنفسهم منزلة سامية ابتداء من القرن السادس وقرروا إنشادها فى أخطر المناسبات وأجلها

---

(١) كان العالم الألمانى فك (Fick) يعتقد أن الشاعر كوناثوس (Cunaethos) ترجم اللاحم الهومرية من الأيولية إلى الأيونية لكن مؤلفات اليونان تحتوى على إشارات تثبت عكس ما يقول ، فالشاعر سيمونيديس الكيوسى يستشهد بأبيات من الإلياذة (٦ : ١٤٨) مكتوبة بالأيونية مع أنه عاش قبل عام ٥٠٠ أى قبل ترجمتها .

(٢) فمثلا نجد عند هوميروس أربع كلمات بمعنى منزل domos, doma, oikos, oikia ؛ وعدة صور لمصدر فعل الكون ejnai, emenai, emmenai, emen, emmen ؛ كما يستعمل نهايات متعددة للاسم فى حالة القابل الجمع مثل posi, possi, podessi .

شـــأنا فلم يكن هناك بد من دخول بعض التغييرات فى نطق الـكلمات وكتابتها(١) .

لم تـكن اللغة الهومرية إذن من إبتكار هوميروس وحده بل كانت من صنع اجيال متتالية استخدمها كثير من الشعراء قبله ثم جاء هو وادخل فيها استعمالات جديدة وأضاف إليها مفردات عديدة ووصل بها درجة من الـكمال لم تبلغها على يد شاعر آخر .

لذلك لا نستطيع أن نتخذ من الفروق اللغوية بين لغة الالياذه والاوديسا دليلا على أنهما من نظم شعراء مختلفين مادمنا نستطيع أن نرجع هذا الاختلاف إلى طبيعة اللغه بصورة عامة والى موضوع الملحمتين بصورة خاصة ، فلغة القصيدة الحربية التى تمتلىء بالمعارك لابد وان تختلف عن لغة القصيدة الخلقية التى تفيض بالمثل العليا والأفـكار الفلسفية وهذا يفسر امتلاء الاوديسا بالمعانى المجرده وخلو الالياذة منها . أما عن تعدد الصيغ وكثرة الاستعمالات النحوية وتطور القواعد وتحرر الأسلوب واختفاء بعض الألفاظ القديمة فى الاوديسا فهذا يرجع إلى أنها نظمت بعد الإلياذه بوقت كان يكفى لتطور اللغة واحداث مثل هذه الفروق .

وبهذه الطريقة اثبت سڤيرنس خطأ نظرية ڤولف واتباعه وفند مزاعمهم ووصل إلى أن هوميروس نظم الالياذه والاوديسا فى القرن التاسع قبل الميلاد .(٢)

---

(١) من الممكن أن نعزو الـكلمات الآتيكية أيضاً إلى أن الأيونية القديمة والآتيكية كانتا من أصل لغوى واحد ، فليس ببعيد أن الـكلمات الآتيكية من أشعار هوميروس كانت أيونية قديمة ثم اختفت منها وانقرضت قبل أن تتطور وتتجدد فى أيام هيرودوت .

(٢) Severyns, op. cit., p. 12. Cf., Mazon (p.), Introd. à l'Iliade, p-p. 264—266. Cf., Robert (F.), Homère, p. 317.